مؤلّفات المركز، 2022، ص. 375-387

شعر الأمير عبد القادر وأشكال تلقيه

فتيحة العزوني [1]

مقدّمة

إن التفكير في إشكاليات جديدة ومغايرة وربطها بالإشكالات ظلت تفرض نفسها في الحقل النقدي، وتجعل التعامل معها في سياق التحولات المعرفية الحاصلة راهني وتُجَدّد رؤيتنا إلى الإنتاج الشعري الجزائري في مختلف مستوياته وتجلياته، يظل الوعي جزء من مرامي بعيدة ينبغي تحقيقها في عصرنا الراهن. ولشعر "الأمير عبد القادر" من الأسباب الفنية ما يكفل له البقاء، وما يجعله حيا على مر السنين. لذلك يظل قابلا لأن يطبق عليه بعض النقاد تصوراتهم لوظيفة الشعر. ولا يخلد من الشعر إلا ما له من القدرة على العطاء والتجدد ما يضمن له البقاء حيا على مر السنين بعد زوال ظروفه وملابساته، فإن كان فوق ظروفه وملابساته بقي، وإن كان محكوما بها زال معها...

في هذا الإطار نروم إنجاز نوع من الحفريات في طبيعة العلاقة بين شعر "الأمير" ومتلقيه للكشف عن أشكال التواصل بينهما.

إذن تقودنا المعالجة المنهجية إلى التقاط البنيات الدالة على أسئلة النقاد وأبعاد الأجوبة التي وجدوها في شعر "الأمير" من خلال المقاربات التي اشتغلت على شعره، فما يعنينا بالدرجة الأولى هو الوقوف على التغيرات في فهم نصوصه، لأنها تؤشر على أفق توقعات هي بحد ذاتها ثمرة كل من التطور الأدبي وتطور الشرائط والمعايير الثقافية والسياسية والاجتماعية.

[1] Université Oran 1, 31000, Oran, Algérie.

المسار النقدي وجمالية التلقي

أعادت جمالية التلقي النظر في مهام المؤوّل في ضوء المعطيات الجديدة لعملية القراءة. ووظفت التصورات الفلسفية التأويلية لكل من "هانز جورج غادامير « Hans Georg Gadamer » و"رومان انغاردن « Roman Ingarden » لدى رفضها لمناهج التأويل المتداولة في تدريس الأدب. كما كشفت عن وهم النزعة التاريخية التي تلغي حدود الأفق التاريخي للمؤوّل. وتدعيما لهذا التصور اهتمت جمالية "هانز روبيرت ياوس « Hans Robert Jauss » بالسلسلة التاريخية لتفعيلات النص، مع إقرارها بالتأويلات المختلفة.

ما يستدعي حضور المؤول هو اغتراب النّص الذي يتعمق بغياب صاحبه عنه. والهدف من حضوره [المؤوّل] هو فهم النّص وتأويله في لحظة تاريخية وثقافية، من خلال تفاعله مع النّص المزود بخصائص لغوية وشكلية تمنحه صفة الانتماء إلا جنس خطابي معيّن. وتنشأ عملية التأويل الأدبي انطلاقا من التعاطي مع النص باعتباره سؤالا، ممّا يسمح بخلق علاقة جدلية معه. فالتأويل يقوم على "العلاقة بين السؤال والجواب من حيث ممارسته للتفسير" (جوس، 1988م، ص. 55). ويتولد عن نشاط صياغة الأسئلة، خلق علاقة جدلية بشكل متواصل مع النّص تدعم أو تلغي توقعات المتلقي « Prévus du récepteur ».

يرى "ياوس" أنّ إعادة صياغتنا لأسئلة قديمة، ما هو إلا نتيجة لاهتمامنا بالوضع الحالي. كما أنّ إدراك رهانات الحاضر لن يتمّ في صوره السليمة إلا بالإدراك المتنامي للماضي. يعتبر "ياوس" أن "تاريخ الأدب هو تاريخ القراءة" (بوحسن، 1993م، ص. 13). لهذا لا ينفصل النّص عنده عن تاريخ تلقيه، إنّ الأفق الذي ظهر فيه النص للمرّة الأولى يختلف عن أفق القارئ الراهن لحظة القراءة. وعلى الرغم من أن النّص يظل يساهم في تشكيل جانب من أفق النّص، إلا أنه لا يمكن فهمه إلا في سيرورته وحركيته.

يمتلك المؤوّل أفقا محدودا نظرا لوضعيته التاريخية، لذا يفتح حوارا ما بين الماضي والحاضر. وتسمح هذه العملية التأويلية بإدخال "التأويل الجديد في السلسلة التاريخية لتجسيد المعنى" (جوس، 1986م، ص. 107). وهو المبدأ الهيرمينوطيقي الذي تتأسس عليه جمالية "ياوس"، والذي يجعل المعنى إنما ينبع من "التتابع التاريخي لتأويلاته" (جوس، 1986م، ص. 108).

نطمح في ظل هذه الأرضية النظرية إنجاز نوع من الحفريات في طبيعة العلاقة بين شعر "الأمير عبد القادر الجزائري" ومتلقيه للكشف عن أشكال التواصل بينهما، لأن ما يعنينا بالدرجة الأولى هو توسيع دائرة النقاش وتعميقها بخصوص تجربة "الأمير" الشعرية. لاسيما وأن الشعر يعد أهم القنوات المعرفية التي تساهم في إثبات التاريخ وتسجيل وقائعه. لقد اكتسب شعر "الأمير" حضوره وهويته الثقافية والنوعية من خلال تداوليته وانخرط في المؤسسة الأدبية، مما ساهم في تمدده وأمّن تلقيه. من هنا حركنا جملة من الإشكالات صغناها على النحو التالي : كيف تلقى النقاد شعر الأمير ؟ ما هي مستويات تلقيهم له ؟ ما هي أنماط الأسئلة التي أجاب عنها هذا الشعر في كل مرحلة من مراحل تلقيه ؟

المنحنى البياني لمستويات التلقي

يحضر "الأمير" في العديد من المتون النقدية التي اهتمت به شاعرا بشكل نمطي، إذ تبدو من الجمل العنوانية لهذه المتون مدى هامشية الشعر ضمن الاستراتيجية التي تقوم عليها مثل هذه الدراسات، فالأمير الشخصية القائدة، المتصوفة كثيرا ما يتفوق على الأمير "الأديب الشاعر". في الجانب الآخر تهتم دراسات أخرى به شاعرا و تسعى لمقاربة شعره بعيدا عن نوازع الذات. في ضوء هذا التمايز ننتخب عينة من المتون النقدية التي جعلت من شعر "الأمير" موضوع انشغالها وسنعمل على يظل الوعي جزء من مرامي بعيدة ينبغي تحقيقها كونها من جهة أبنية نقدية قائمة بذاتها، ومن جهة أخرى مشكلة لملمح من ملامح النقد العربي.

معطيات التلقي التصنيفي في مقاربة "فؤاد صالح السيد"

حضر "الأمير" الشاعر في الباب الثالث من المصنف الموسوم ب : "الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا" بعد باب تاريخي. وباب ثان خاص بالتصوف. لاحظ "الناقد" أن كل مرحلة من مراحل حياة الشاعر تتعالق جماليا مع فن معين من فنون الشعر لدى شاعرنا. لذا رتب الفنون الشعرية"تبعا لأهميتها من حيث النوعية أولا، ثم من حيث ارتباطها الشعري بحياة الأمير عبد القادر الشخصية ثانيا" (صالح السيد، 1985، ص. 275). كما عدّد مضامين الشعر ورصد علاقاتها بالبيئة، ووقف عند حدود معاينة النص الشعري ووصفه كما هو، مثلما باشر ترتيب القصائد والمقطوعات الأميرية ألفبائيا بحسب الروي،

ثم رتبها ترتيبا عروضيا بحسب البحور الخليلية وفي الأخير أنجز فهرسة لقصائد الديوان ومقطوعاته.

لقد تعاطى هذا الناقد مع شعر "الأمير" بمختلف مستوياته في ضوء القيم الخارجية باحثا عن المنطق الخارجي لفهم تشبيهات الشعر واستعاراته على نحو موضوعي، سعيا منه لتقريب الشعر من مدارك المتلقي. إنها استراتيجية تسعى نحو تعليل اتجاهات الشعر وإيصالها بدواعيها، وهي قائمة على أسس العقلنة بعيدا عن تطوير خبرات التلقي. فجاء فهم الموضوع الشعري عند صاحبها "فهما نفعيا يحيله إلى الخارج المتقرر قبله" (الغذامي، 2006، ص. 45).

الانفلات من الوجود النصي إلى النسق الثقافي في قراءة "محمد السيد علي الوزير"

إذا أردنا توضيح أنحاء الاشتغال النقدي على شعر "الأمير" في هذا البحث نقول إن تجربة القراءة لدى "محمد السيد علي الوزير" تنطلق في محاولة السعي للإجابة عن سؤال مركزي مفاده: كيف استوعب شعر "الأمير" السنن الثقافية على النحو الذي يكشف عن وظائف خطابية وطيدة الصلة بالهموم المعرفية دون مجاوزة الحدود الدلالية التي يمكن أن يستقطبها النص في سياقه التاريخي وضمن مجاله الفكري. على الرغم من هذا السؤال الجريء، ظلت القراءة تنفلت من الوجود النصي إلى النسق الثقافي لتصير المقاربة مرادفة للهامشي في الثنائيات التي يشيدها النص الشعري الأميري بين قيم التخييلي والثقافي. فهذه القراءة تتساءل بخصوص الروافد الثقافية التي تدعم نزعة "الأمير" التلقائية إلى صدق الشعور. وتحاول ملامسة النزعة التجديدية في شعر "الأمير" انطلاقا من رصدها لمنجزات الحضارة في معجمه الشعري الذي يستمد بعض مفرداته من عصر النهضة مستشهدا بالتشبيهات الجديدة للأمير من بعض المخترعات (علي الوزير، 1986، ص. 111).

محدودية العطاء النقدي في قراءة "عبد الرزاق بن السبع"

يحشر الباحث "بن السبع" التجربة الشعرية "للأمير" في زمرة التجارب المقلدة للنسق الشعري العربي القديم، حيث صخر قراءته لتكبيل حركة نصوص الأمير الشعرية بأنفاس المعاني السالفة والحاضرة. مؤكدا على الحقيقة التاريخية للنص الأميري، وإن كانت حقا قائمة إلاّ أنها "حقيقة صغرى ما تلبث أن تتلاشى أمام الحقائق الإنسانية الكبرى التي تنبثق

من النص انبثاقا إبداعيا متحولا على أساس أن النص عالم لا يصور الخارج ولا يحاكيه ولا يعبر عنه، ولكنه يشكله بعد أن يتجاوزه ويبني عالما غيره" (الغذامي، 2006، ص. 112).

إذن يتحدد الإطار المنهجي لقراءة الناقد "عبد الرزاق بن سبع" في الإشكالية التاريخية، لكن لا يصل هذا التلقي إلى مستوى التأويل، إذ لم يبذل الباحث أي جهد يعطي صورة جديدة للمعنى الكامن، فهو مجرد شرح يربط الظاهر بالمفهوم. وفي أغلب الأحيان تأتي مواقف الباحث النقدية تعميمية فاقدة لمصداقيتها. مما يرمي بنا إلى القول إن أنساق هذا الخطاب لم تكتمل نظرا لمحدودية عطائها النقدي. بل كانت جملة من الأفكار و الأحكام التي لا تمثل شكلا معرفيا دقيقا.

إن الايدلوجيا المسبقة من حيث الوجود على النص التي تنطلق منها هذه القراءة لم تستوعب حجمها الفني والجمالي بحكم اشتغال الباحث على مطابقة ما هو أدبي على ما هو واقعي، فأساء بالتالي إلى عملية فك شفرة الأثر الفني بحكم اكتفائه غالبا بمادية الدوال التي يعرضها الشعر الأميري بدل استنطاق ما يحايثها من مدلول.

الحدود المتحركة لقراءة الناقد "محمد بشير بويجرة"

يتوقف فهم النّص على امتلاك المؤوّل لأفق السؤال (Horizon de la question)[1]. ويرتبط هذا الأفق بسياقين. أولهما : السياق الذي أُنْتِجَ فيه النص، وهو سياق تاريخي ماضي. ثانيهما: سياق يتعلّق بالقراءة المنجزة حاضرا. يلازم هذا الأخير القارئ في الحاضر، وهو يباشر قراءة النّص ومرجعياته. ضمن هذا السياق يتمظهر كتاب "الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث للناقد "محمد بشير بويجرة" الذي توخى به تجديد فكرنا النقدي وإعادة النظر في كل ما انتهى إليه النقد العربي الذي عالج مسألة الريادة في الشعرية العربية. من خلال أسئلة جديدة صاغها، قصد في ضوء إجاباتها تهشيم الموروث النقدي القائم على مسلمة "سامي البارودي هو زعيم مرحلة الإحياء".

إذن تنطلق إشكالية البحث من الإيمان الراسخ للناقد بأحقية الشاعر الجزائري "الأمير عبد القادر" بهذه الزعامة، أمام تصاعد نبرة الشك لديه والتي تتكشف في العديد من ملفوظاته من قبيل : "وذلك ما يجعلني لا أهضم بسهولة ويسر..." (بشير بويجرة، 2009، ص. 70). "وما يؤسس لموقفي هذا... " (بشير بويجرة، 2009، ص. 72).

[1] Voir : Gadamer, H.-G. Vérité et méthode, tra : Sacre, Et., *Rev. Ricœur*, Paris : Seuil, p. 126.

نشير إلى أن هذا الخطاب النقدي هو امتداد لخطابات نقدية سابقة على سبيل التضاد، استحضرها الناقد "بويجرة" ليستنطقها بملء فراغاتها البانية. كما ينهض هذا الخطاب على أساس الانتقاء والتأليف بين عناصر خطابية متآلفة قصد الوقوف على التعالقات بينها من خلال مقاربتها. هو تفاعل معرفي مع تلك العناصر التي تستبطن في دواخلها مفارات نوصية تغري أي ناقد بأن يعقد مقاربات إجرائية عليها. هنا يتحول المتلقي "بويجرة" إلى مؤول يتحقق وجوده انطلاقا من نص جديد. حيث تنفتح قراءته على تجربة جديدة تنفي التجربة السابقة على حد تعبير غادمير.

إذن ترسم المعالجة النقدية لـ "بويجرة" أفقا لها يتجاوز النص المرجع إلى نص آخر يرسخ من خلاله قناعاته.

يختصر الاستهلال الصوري للجملة العنوانية للكتاب اللعبة التفاعلية للبحث ككل، حيث تتحقق لمتلقيه (الكتاب) الدهشة لدى مواجهته لتلك الجملة التي اختلف بها الناقد عن الكائن والمتعين منعطفا بمتلقيه نحو الممكن، ليجد هذا الأخير نفسه أمام أفق مغاير للبحث. تلك الجملة على النحو الذي صيغت به احتجاج على ممارسة الإقصاء التي تعانيها الأدبية الجزائرية على المستوى العربي، عطفا على ما سبق سيتحول حافز البحث لدى الناقد نحو مستوى آخر يختلف به عن الخطاب الأول، أي نحو استراتيجية ترسم قواعدها بالاستناد إلى إمكانات الإقناع من خلال التمثيل والتعليل حتى تغيّر في قناعات المتلقي. فالناقد وفق هذه الصورة ملزم بتبني منطق التفكير العقلاني، لأنه إنما يتمثل قارئا من نوع خاص من صفاته الحرص على الاقتناع، قارئ يسأل عن الشاهد والمرجع، وهو ما سيجده بين يديه لدى تلقيه لهذا الخطاب. وهو لذلك خطاب منهجي يستقصي العلل والأسباب.

جدير بنا ونحن نتلقى هذا الخطاب أن نطرح سؤالا بخصوص كيفية تلقى الناقد "بويجرة" لسجلات النصوص النقدية التي اشتغل عليها ؟ وعن استراتيجية قراءته لها ؟ وعن حدود العلاقة بين سياقات تلك النصوص المرجعية وذخائر قراءته النصية ؟

اشتغل الناقد على توسيع تلك السياقات المرجعية، بعد أن حاصرنا بالعديد من المعطيات رفعا لأي التباس ضمن أفق القارئ. كما لم يكن متواطئا مع خطاباتها النقدية، إذ نلفيه يناقش مسلمة ماتزال تفرض نفسها على المشهد الأدبي العربي، في مقابل ترسيخ

بديل شحذ له الأدلة من النص الشعري الأميري ليحمل متلقيه على الوعي به وترهين التعامل معه في سياق التحولات العامة والخاصة التي تحيط به.

يبدو لنا أن فكرة الكتاب الجنينية لدى الناقد "بويجرة" ولدت لدى تلقيه لكتاب "شوقي ضيف" الموسوم بـ "البارودي رائد الشعر الحديث"[2]، وتضاعف نموها لدى شعوره بالإقصاء نتيجة استبعاد الجزائر عن أداء دور ما في أية نهضة أدبية ثقافية، تحرك إثر ذلك الجانب الوجداني للناقد، ليقول بعد أن تراكمت ضمن أفقه عديد الأسئلة "أن مثل هذه الأسئلة وغيرها تدفع بنا نحو تقديم ورقة مفصلة قدر المستطاع عن بعض القضايا التي قد تساهم في التأكيد على أن كل ما أبرزه الدكتور شوقي ضيف باعتباره تجديدا في الشعر العربي عند البارودي... كان الأمير قد تجاوزه بكثير"..." (بشير بويجرة، 2009، ص. 192). فإذا كان معيار الحكم على ريادة شعر "البارودي" عند "شوقي ضيف" هو استجابته للنزعة العاطفية وتأثره بما يدور من حوله، فإن الأمير من منظور الناقد "بويجرة" تجلت بعض ملامح الشعرية لديه "في امتلاكه الجرأة والشجاعة على الإبداع الشعري في مضامين وقضايا مازالت حتى الآن تشكل المحنة العربية والهم الوطني"..." (بشير بويجرة،2009، ص. 191). في السياق نفسه يستنجد الناقد "بويجرة" بمقال للشاعر "عبد المعطي حجازي"[3] نتيجة إنزاله لاسم "الأمير عبد القادر" في درجة متقاربة مع اسم "البارودي" - وإن كان هذا الأخير ظل يتبوأ الريادة الأدبية من حيث تجاوز شعرهما للتقليد فضلا عن النفث الإحيائي الذي يميز مسارهما الأدبي. هذه الإشارة الخاطفة على أهميتها جاءت غير فاصلة بالنسبة للناقد "بويجرة" الذي يلمح لقارئه أن "عبد المعطي حجازي" يتحرج من أن يفصل في كلمته بالنسبة لشعر "الأمير"، لذلك جاء موقفه النقدي متذبذبا وغير مستوفيا لشروط البحث.

على مستوى آخر وبالاعتماد على الحمولة النظرية لمفهوم الحداثة، يصر الناقد "بويجرة" على أن "الأمير عبد القادر" "قد جمع أكبر قدر من الحداثة في شعره، وذلك لأنه وقف موقفا واضحا ومحددا يستند إلى تقدم مصلحة الأمة والوطن على مصلحته ورغباته ونزواته."..." (بشير بويجرة، 2009، ص. 123) كما "أعلى من قيمة الشعر والشاعر ورد لهما دورهما في صنع العلاقات الاجتماعية..." (بشير بويجرة، 2009، ص. 123)، وذلك بالنظر إلى

[2] ينظر : ضيف، شوقي. **البارودي رائد الشعر الحديث**. (ط. 2). مصر : دار المعارف.
[3] ينظر : حجازي عبد المعطي، (1983م، 10 ماي). لماذا نتجاهل الشعر الجزائري. **جريدة الشرق الأوسط**، ص. 13.

القحط الثقافي الذي بلغ ذروته عربيا ومحليا في المرحلة الزمنية التي شهدت ميلاد "الأمير". وفق هذه الرؤية يتصور الناقد أن "الأمير" شخصية صنعت الاستثناء في كل شيء، وحضورها على هذا الوجه وفي هذه المرحلة بالذات كان كفيلا بإحداث رجة على جميع المستويات لتخلق التوازنات المجتمعية المفقودة. من هنا وبعد فك مغاليق مقطوعات وقصائد أميرية، خلص الناقد إلى أن بعضها يشكل منعطفا مهما في ساحة التجديد والحداثة.

بقي أن نفهم حدود مفهوم الحداثة عند "بويجرة" في ضوء تعاطيه مع شعر "الأمير"، وذلك بعد أن نذّكر أن الناقد مَوْضَع شعر "الأمير" ضمن سياق العصر وضمن الاستراتيجية الدفاعية التي رسمها لنفسه. فالحداثة عند "بويجرة "وفق المعطيات السابقة الذكر تتحدّد في تعبير الشاعر عن المعيش وعن التجربة الفردية والجماعية، مثلما تتحدّد في خروجه عن المبتذل الشعري في عصره، كما تبرز جلية في التأسيس لفكرة الحوار بين الأديان والحضارات، مثلما تتمظهر في إضفاء البعد الاستراتيجي على تيمات الشعرية العربية، إلى غير ذلك من المحددات التي لا يسع المقام هنا إلى ذكرها..." (بشير بويجرة، 2009، ص. 156).

على المستوى التطبيقي يخوض الناقد مغامرة المقاربة النصية الغزلية والفخرية لدى "الأمير" ليجدها مؤسسة على فكرة الاختلاف عن الشعر العربي القديم، انطلاقا من اختلاف الدوافع، والقيم هنا وهناك. إذن على الرغم من إقرار الناقد بثقافة "الأمير" الكلاسيكية، إلا أن غنى علاقاته "أثرى التجربة الشعرية الأميرية وفق رؤية تجديدية للمضامين والموضوعات المعبأة بالبعد الوطني وبالنظرة الواعية بمكامن النفس المبدعة.. (بشير بويجرة، 2009، ص. 98).

وبعيدا عن التقوقع يحرك الناقد إشكالات جديدة يناشد بخصوصها المختصين ويعبد مسعاهم نحو شعر "الأمير" الصوفي وتعالقاته القصدية مع المعيش اليومي. في ظل هذه المعطيات يلاحظ "بويجرة" أن للأمير دور تأسيسي في إعادة الوعي للقصيدة العربية الأصيلة في الجزائر، إن على مستوى المضمون أو بالنظر إلى مقدسات الخصائص الجمالية. إنها حداثة "الأمير" الشعرية التي لا يمكن أن تلتمس إلا في ضوء عصرها، أي بعد ربط البوح الشعري بميكانيزمات العصر شرط تجاوز رتابة المعيش.

الفعل البنائي لشعرالأميرفي قراءة الناقد "سليمان عشراتي"

تندرج قراءة الناقد "عشراتي سليمان" ضمن سياق التحولات التي عرفها المشهد الثقافي في الجزائر، حيث استمدت جهازها النظري من حقل الشعرية والمناهج الحداثية الجديدة. عقدت هذه القراءة تعالقات حوارية مع بعض قصائد ومقطوعات "الأمير" الشعرية قصد إحيائها من جديد وإخراجها من شرنقة القراءة التاريخية التي كبلتها طويلا. فانطلقت من البحث في مجمل العناصر المساهمة في تشكيل هوية الخطاب الشعري، كردة فعل على القراءات التي لم تعط شعر الأمير "ما يستحق من قراءة وتفكيك واستنطاق يتوازى مع قامته وعظمته الريادية"..." (عشراتي، 2011، ص. 8).

يذكّر الناقد قارئه متحسرا بأن ما يتوفر للقراء من أشعار "الأمير" لا يمثل ديوانه في كليته، بل هو مجرد مجموعة جزئية فلتت من يد الإهمال والزوال، "فالمحصلة الشعرية لا تتماشى مع الانجاز الباهر الذي حققه الأمير كأول بان للدولة الوطنية في تاريخ العرب" (عشراتي، 2011، ص. 214).

ماذا قدمت هذه القراءة لشعر الأمير وما هو سؤالها ؟ كيف اشتغلت ؟ وما هي استراتيجيتها ؟

بداية ندرج للناقد الملفوظات التالية : "لقد زادت الهوة اتساعا بين النموذج الشعري التراثي القوي وبين المنتوج النظمي الذي باتت البيئات المتخلفة تمارسه."(عشراتي، 2011، ص. 51)، "ولذلك ستكون جهود حركة الاستيعاب والإحياء التي كان الأمير في طليعة روادها بلا منازع مركزة على إعادة اللحمة بين التراث و المنتوج العصري" (عشراتي، 2011، ص. 51).

"ارتدت الأدبية نحو الماضي لتستلهم منه معالمه الجمالية والشعورية والبنائية وذلك ما تم لطلائع شعراء النهضة الحديثة ومن بينهم الأمير" (عشراتي، 2011، ص. 108).

لدى تحليلنا للملفوظات السابقة يبدو أن الإحياء مقرون عند الناقد "عشراتي" بتمثل الشكل وما يلابسه من صور وتخييل وبيان، مثلما فعل "البارودي" من أجل ذلك عرف بريادته في إحياء الشعر. نسارع لنقول إن خطاب "الناقد" هنا تلميحي يستبطن افتراضا المماثلة بين تجربة الريادة الشعرية لدى الشاعرين مع تذكيرنا بالتقدم الزمني للأمير بالنظر إلى تاريخ مولده. نسند تخريجنا هذا من ترديد "عشراتي" لمقولة أن "الأمير كان رجل قطيعة مع أزمنة وكان رجل تدشينات لأزمنة جديدة، أزمنة تتجدد بها قومية الأمة" (عشراتي، 2011، ص. 199).

فالنهضة الشعرية من منظور ناقدنا تمت بوثبة نحو الماضي حدث معها تشرب "للنماذج التراثية لتتحول فيما بعد إلى وثبات متتابعة تستمد بعض جراءتها من استلهامها منتوجات الغرب الإبداعية" (عشراتي، 2011، ص. 52). في هذا الصدد يشحذ الناقد "عشراتي" أدواته المنهجية ليختبر في ضوئها البعد النهضوي لشعر "الأمير" الذي لاحظ أنه يصطنع رمزيته بنوع من التفوق. إنها الدائرة التي ولجها الناقد ليقف على مستويات صناعة الرمز في شعر "الأمير"، متحريا التأويل اليقظ لاسيما لدى تعاطيه مع أشعاره العاطفية والوجدانية، خاصة الشعر الغزلي الذي يتفطن الناقد إلى أنه تجاوز حدود نصيته بالنظر إلى شخصية "الأمير" التي نعتها الناقد بالتجاوزية. مما فسح المجال أمامه ليناقش مسلمة أن يكون كل شعر "الأمير" الغزلي في كليته موجها إلى "أم البنين"، وبنى افتراضه هذا على الاختلاف الواضح في مستويات تلك الأشعار من حيث الانفعال والسياقات. فهذا "الخطاب وإن تقمص الصبغة الغزلية إلا أن مراميه منوطة بحاجة أبعد مما يفصح عنه الخطاب" (عشراتي، 2011، ص. 61).

في مقابل ذلك يقر "عشراتي" بوجود ظاهرة التقليد في الشعر العربي شأنه في ذلك شأن باقي المعارف والفنون الأخرى. وتعد هذه الانحسارية مظهرا من مظاهر الانحطاط شملت الإبداع الشعري وحملت الشعراء على أن يمارسوا التقليد والاقتداء الشكلي. و"الأمير" لا يمكن أن يشذ على هذه القاعدة، والشواهد في أشعار الأمير" كثيرة. في هذا الصدد يؤكد "عشراتي" أن العراقة هي الصفة الغالبة على شعر "الأمير" لكن من ناحية أخرى يؤكد على اللمسة الوجدانية التي تميز شعره وتسمه بميسمها.

في السياق نفسه يركز الناقد على صدق التجربة الشعرية لدى شاعرنا، حين يفترض أنه لم يبح بأكثر مما عاناه. لاسيما أمام صلابة الذات الجزائرية في مواقف تمس سيادة الوطن. مثلما يؤكد على المسار الانزياحي لشعر "الأمير"، من حيث كونه نقطة انعطاف تحولت بالشعر العربي و أغراضه عن نطاقه العرفي نحو حدود جديدة. لقد حوّل في ملامح بعض الأغراض الشعرية -كالمدح والفخر- عندما حررها، بأن جعل منها "حدثا قتاليا وفعلا بنائيا واجهت به الأمة شروطا قومية جديدة ومستلزمات حضارية طارئة وحاسمة" (عشراتي، 2011، ص. 165).

الشعرية التمسها الناقد في شعر "الأمير" على "صعيد القول الحربي الاعتراكي، وذلك حين جعل القافية وسيلته إلى المناجزة والمقاتلة ومشاركة الضحايا" (الغذامي، 2006،

ص. 104). لقد أصبحت القصيدة الأميرية بحسب الناقد "عشراتي" تضطلع بوظيفة الدعم والتجنيد، وتتمظهر هذه النبرة حتى في مواقف الانكسار حين يحتوي النسق اللغوي هذه المواقف بالكثير من التماسك والثبات.

إن ما نلاحظه على هذه المقاربة هو انفتاح أفقها الذي هيأها للوصول إلى مواطن التوتر في هذه التجربة الشعرية، حيث ركز صاحبها على تحوّر القيم في العديد من قصائد "الأمير" الشعرية، وعلى المعاني النضالية التي بدأت تأخذ منحى لا عهد للشعر العربي به. هذه المتغيرات الجديدة على المستوى الشعري يراها الناقد "عشراتي" نتيجة حتمية لانفتاح أفق الشاعر على واقعه ومراهنته على البقاء والوجود الحضاري. فانزاح الشعر عند "الأمير" من إطاره الذاتي والعشائري الضيق إلى فضاءات رحبة مسّت واقع الأمة، إنها الوجهة الواقعية والمصلحة الجماعية التي بدأ يتطعم بها الشعر العربي. هو ذاك التوازن الذي سعى "الأمير" إلى تجسيده واقعيا وفنيا، لاسيما وأن الفرد الجزائري كان حينها على موعد مع التجدد والانبعاث الجذري في الكثير من جوانب حياته. وكأن نهضة "الأمير" الجهادية استهدفت تصحيح عقارب الزمن فولدت نهضة أخرى فنية ليكتمل المشهد. فالقيمة التجنيدية لشعر "الأمير" بوأت "الأمير" ريادة معينة عند الناقد لاسيما عند ما ربط هذه القيمة بالأدب الإلتزامي الذي سيظهر من يؤكده لاحقا في القرن العشرين.

إن إنعاش البعد الجمالي لقراءة "عشراتي" تحقق إثر تحطيم مقول النص المعطى. وذلك استنادا إلى تطوير جديد لإشكاليات فرضت نفسها علي الناقد بإلحاح. حين تجاوز القراءة التقليدية للنص الشعري الأميري بالوعي العملي الذي يعمق الرؤية إلى الماضي ويجدد طرائق التعامل معه بطريقة فعالة ومبدعة.

ويبدو أن استناد الناقد "عشراتي" على رصيد من المعرفة وفر لبحثه إمكانات معرفية وأدوات متعددة حررته من محدودية التلقي التقليدي، فأغنى النص الشعري وتجاوزه إلى صورته المضاعفة، التي تجعل النص مستودعا للمعاني وليس مجرد صدى للقصيدة العربية القديمة. "مما يعني أن الموضوع لا يتقرر من خارجه، وإنما ينبثق من الداخل، والطريق إلى سبر المعطى الجديد هو المنهج المستقل عن الذات" (الغذامي، 2006، ص. 153).

على سبيل التركيب

تؤشر لحظة القراءة على تواصل بين صوت الآخر والوعي القارئ بوصفه متلقيا تاريخيا. أي أن فعل التأويل يتضمن حضورا للقارئ المؤوّل. وهو ما يجسّد أفق السؤال لديه. وليست محاولة الفهم إلا تشكيلا لجواب ممكن، تبعا لذلك نتحصّل على تأويل مفتوح باستمرار من خلال جدلية السؤال والجواب التي تُسهم في بناء الفهم وشروطه. تلك أشكال من التلقي لشعر "الأمير عبد القادر" تتفاوت درجة فعاليتها في السياق الثقافي وتختلف في مقصدياتها، مثلما تفاوتت في المعرفة من حيث العمق والسطحية، لكنها حتما رسخت جملة من التصورات والأحكام في أفق متلقين آخرين. "ولا يخلد من الشعر إلا ما له من القدرة على العطاء والتجدد ما يضمن له البقاء حيا على مر السنين بعد زوال ظروفه وملابساته، فإن كان فوق ظروفه وملابساته بقي، وإن كان محكوما بها زال معها" (الحرز، 2005، ص. 183). ونعتقد أن لشعر "الأمير" من الأسباب الفنية ما يكفل له البقاء، وما يجعله قابلا للتداول.

عموما جاء تلقي شعر "الأمير" غالبا في إطار وقوف النقاد على مشارب التقليد أو التجديد في شعره. هنا لا يمكن إغفال "العوامل المتحركة التي تتحكم في عملية التلقي، والتي تخضع بالدرجة الأولى لما يمكن أن نسميه بضغط المتغير النسبي باعتباره عنصرا يستجيب لمعطيات اللحظة الزمانية والمكانية". لكن على الرغم من ذلك يلاحظ القارئ معنا أن ثمة نص نقدي مشترك يدخل في نسيج عدد من التجارب النقدية. بمعنى آخر تدخل العديد من التلقيات التي وقفنا عليها في تعالقات مع بعضها البعض، منها ما اتسع أفقه ليحرر معه المعنى من مقصدية الشاعر وفهم القارئ الأول إلى رحاب جديد. ومنها ما انحصر أفقه دون محاولة لتوسيع دائرة اشتغاله بما يكفي، وظل حبيس مرجعية نقدية بعيدا عن فعل اختراق النص. لكن ينبغي أن نشير إلى أن هذه القراءات ستظل متعايشة في الحقل الثقافي بالرغم من تداخلها وتمايزها.

بيبليوغرافيا

بشير بويجرة، محمد (2009). **الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث**. (ط. 3). الجزائر: دار القدس العربي.

جوس هانز، روبرت (1983). **علم التأويل الأدبي، حدوده ومهماته**. (3)، (بركة بسام، ت.). العرب والفكر العالمي.

جوس هانز، روبرت (1986). **جمالية التلقي والتواصل الأدبي**. (38). (علوش سعيد، ت.). **الفكر العربي المعاصر**. مركز الإنماء القومي.

صالح السيد، فؤاد (1985). **الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا**. الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب.

عشراتي، سليمان (2011). **الأمير عبد القادر الشاعر –مدخل إلى تخليل الخطاب الشعري في محطة المابعد**. (ط. 1). وهران : دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر : أطفالنا للنشر والتوزيع.

علي الوزير، محمد السيد (1986). **الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته و أثرها في أدبه**. الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب.

الغذامي، عبد الله (2006). **تشريح النص-مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة**. (ط. 2). المغرب : المركز الثقافي العربي.

المجلات العلمية

بوحسن، أحمد (1993). **نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث. ضمن مؤلف مشترك : نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات**. [جامعة محمد الخامس : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط- المغرب، سلسلة ندوات ومناظرات رقم. 24].